تباع الزجاجة من بعض انواعه بنصف جنيه وهي ليست الا كحلا قد مزج بعطر مكتوم في صدر صاحبه . الا ان كل هذه الاسرار ليست على شيء يذكر من الغرابة والاهمية ولكن الغرابة كلها وبالتالي السر المكتوم هو جواز مثل هذه الخزعبلات حتى على عقول الاذكياء وتسليمهم بصحتها وبذلهم المال الكثير من اجلها

وصف البوير

(بقلم حضرة الصانع الحاذق والحفار الشهير جورج افندي حداد)

لا ريب ان اهل بلادنا يحبون ان يعرفوا شيئاً عن احوال الترنسفال وعن اخلاق وعادات البوير الذين طبقت شهرتهم انحاء المعمور وعن الشعوب الوطنية خصوصاً الهوتنتوت الساكنين في مستعمرة رأس الرجاء الصالح وغيرهم من السود والزنوج . ولما كان قد اتفق لي ان اطوف جنوب افريقيا تقريبا واعاشر البوير واعرف اخلاقهم كما اعرف اهل بيتي ووطني رأيت ان اذكر لقراء هذه المجلة شيئاً من ذلك فاقول

انه بعد قدومي من اواسط افريقيا اتيت الى باتيرا وهي بلدة واقعة في الجنوب الشرقي من افريقيا وتابعة لحكومة البرتوغال وهي مصب حاصلات مقاطعة روديزيا الانكليزية اما اهلها فاخلاط من الاوروبيين والهنود والعبيد وهواؤها ردئ جداً الى درجة مخيفة اذ تكثر بها الحمى الصفراء بسبب كثرة المستنقعات ومنها تبتدي السكة الحديدية العظيمة التي

تصل مستعمرة رأس الرجاء بمستعمرة رودزيا وتكون فرعاً للخط العظيم من الاسكندرية الى الرأس

والمسافة من هذه البلدة الى مدينة الرأس الف وستمائة وخمسون ميلا تستغرق نحو تسعة ايام ويمر الخط على مدينة بولاوايو مركز او عاصمة حكومة رودزيا وهي مدينة جميلة البناء على الطرز الاميركاني وسيكون لها شهرة عظيمة في المستقبل نظراً لقربها من شلالات فيكتوريا الهائلة وهذه المدينة اسسها المرحوم سسل رودس الشهير وقبره بالقرب منها على بعد ١٣ ميلا ومن بولاوايو تبتدي السكة الحديدية المعلمة هكذا G.C.R اي سكة حديد حكومة الرأس والمسافة الى كاب تون ستة ايام ويمر الخط على مدينة مفكين الشهيرة بحصارها الشديد مدة الحرب الاخيرة لانها ذات مركز مهم ولذلك دافع عنها الانكليز دفاع المستميت ثم مدينة كمبرلي الشهيرة ايضاً بمعادنها خصوصا الالماس

وتجارة رودزيا تقريبا محصورة بين اليهود فلا ترى مخزناً او عملا تجاريا بايدي غيرهم الا نادراً اما سكان هذه البلاد الاصليون فهم من العبيد السود جداً واحط في المدنية عن اخوانهم في مستعمرة الرأس ولا يدخنون التبغ الا نادراً كما انهم تقريبا عراة الابدان ومن كمبرلي جنوبا يتغير المنظر تغيراً عظيما فترى الوطنيين بيض الالوان الى الصفرة وهولاءهم الهوتنتوت

ومدينة الرأس جميلة جداً وهي واقعة على سفح جبل شامخ كسور لها ومغروس به شجر الصنوبر وبنأ هذه المدينة جميل جداً ولاسيما دار الندوة (مجلس البرلمان) وقاعة المدينة وشوارعها نظيفة تمتد على جانبيها اقنية الماء المجلوب من ينابيع الجبل المذكور

اما كوني اعرف عن اخلاق وعادات البوير اكثر من غيري فهو لاني كنت اتجول في كل قرية ومزرعة في مستعمرة الكاب والاورانج والترنسفال لاجل شراء ريش النعام الذي هو من اهم محصولات تلك البلاد بعد المعادن الثمينة ولذلك تراني اعرف كل شيء من عاداتهم واخلاقهم ومعيشتهم البيتية والامر الغريب انك ترى لهذا الشعب اخلاقا واحدة من مدينة الرأس جنوبا حتى اخر حدود الترنسفال شمالا ومن مصب نهر الاورانج غربا لغاية باسوتولاند شرقا واكثرهم لا بل جميعهم يحترفون الزراعة وتربية المواشي خصوصا طير النعام وحينما يأتي الرجل من الحقل مع اولاده الذين يكونون معه يداً واحدة في العمل يسلم على امرأته بهز الايدي وحينما يستريح يبتدئ كبير الاسرة اولا بغسل رجليه وبعده اولاده بحسب اعمارهم ثم يجتمعوا لصلاة العشاء فيقرأ الاب فصلا من التوراة واهل بيته جلوس بغاية الخشوع وبعد ذلك يتناولون الطعام واذا اتفق وجود ضيف عندهم فيكون له المقام الاول واكلهم بسيط وهم لا يكثرون من الالوان وبعد تناول العشاء يصلي صاحب البيت صلاة بسيطة ويجلسون للتدخين والحديث واكثر حديثهم عن مصائب الحرب بينهم وبين الانكليز وعن المظالم التي عاملوهم بها حسب دعواهم واتذكر اني كنت بضيافة احدهم فبقي يتكلم معي بهذا الخصوص حتى لم تبق فيه قوة للكلام وكانه نسي ان الوقت طال جداً بهذا الموضوع فنبهته ان الساعة صارت واحدة بعد نصف الليل واني نعسان فقال لا تعجب لاني لم اتم حديثي معك بهذا الموضوع وارجوك ان تذيع كلامي هذا للعالم لكي يعرفوا ظلم الانكليز اما شكواه فكانت انه من اهالي مستعمرة الكاب الذين لا دخل لهم في الحرب فاتت فرقة من العساكر الانكليزية

اليه وطلبوا منه كل الخيل والبغال التي عنده وتهددوه بالاعدام اذا لم يعطهم مطلوبهم بعد ثلاث ساعات فلبى طلبهم حالا فلم يكتفوا بل طلبوا الغنم والبقر وكل ما حوت يداه فاجابهم بدون تأخير فلم يكتفوا بذلك ايضاً بل امروا العبيد الذين معهم ان يقطعوا كل الاشجار المغروسة جانب البيت ومن جملتها اثنتا عشرة شجرة تفاح من احسن جنس التفاح في المستعمرة فتراها مقطوعة الى مساواة الارض وهذا الفعل ليس مقتصراً على هـذا الرجل فقط بل على كل اهالي المستعمرة فكانت العساكر الانكليزية تأخذ من هولاء المساكين كل ما تصل اليه ايديهم والذي لا يقدرون ان يأخـذوه مثل الفراخ والنعام كانوا يضربونه بالرصاص حتى لا يفوتهم شيء من امور الخراب

وكان العبيد يساعدون الانكليز على ما يأتونه من المنكرات واخصهم الهوتنتوت لان قلوبهم ملآنة حقداً على البوير وذلك لان البوير حين استعمروا البلاد قاومهم اهل البلاد مقاومة عنيفة فكانت الحروب متصلة حتى تغلب اخراً الفاتحون واخضعوا قبائل الهوتنتوت الذين هم سكان القسم الغربي من رأس الرجاء فتراهم الان يتكلمون اللغة الهولاندية عوضاً عن لغتهم البربرية التي لا يعرفونها الان على الاطلاق نظراً لامتزاجهم بالبوير والهوتنتوت صفر الوجوه بوجنات مرتفعة وعيونهم ضيقة وشعرهم صوفي جعد متفرق وقصير جداً وهم يحبون المزاح والسكر وعلى جانب عظيم من الخبث والدهاء والحقد ولذلك حين شهرت الحرب الاخيرة استغنموا فرصة الاخذ بالثار من اعدائهم القدماء البوير مع انهم ربوا في نعمهم وتحت ظلهم وما اصدق ابي الطيب اذ قال

العبد ليس لحر صالح باخ لو انه في ثياب الحر مولود

ولا يزال البعض منهم يحاربون الالمان في مستعمرة دامارالاند الجرمانية لحد الان ويأبون الخضوع لنير الرجل الابيض

وسكان القسم الشرقي في مستعمرة الكاب هم الكفرة الذين لا يزال معظمهم في حالة الهمجية التامة ويتكلمون لغتهم الاصلية والسواد الاعظم منهم يعبد الاوثان وقد دخلت بينهم الديانة الانجيلية اما اخلاقهم فبسيطة جداً وهم في حالة الهمجية ولكن حينما يخالطون البيض تنقلب تلك الاخلاق الى فظاظة وخبث كما هو الحال في كل الشعوب الهمجية التي لا تتعلم من المتمدنين الا النقائص والرذائل

وهم من حيث المركز كاخوانهم الهوتنتوت يخدمون البوير الخدمة الشاقة باكثر امانة من الهوتنتوت وهم حاقدون حقداً عظيماً على الحكومة الانكليزية لانها سمحت بطردهم من الشغل في المعادن واستجلبت عوضاً عنهم الصينيين للشغل ولذلك يخشى من ثورة عامة ضد الحكومة من هؤلاء القوم خصوصاً اذا آنسوا مساعدة من البوير والله اعلم بما سيكون غير انهم لاهم ولا البوير يقدرون ان يحركوا ساكناً في الوقت الحاضر الا اذا اشتبكت انكلترا في حرب مع دولة عظيمة فهناك يكون البكاء وصرير الاسنان لان البوير ينتظرون تلك الساعة بفروغ صبر اذ الاحقاد لا تزال كامنة في الصدور فترى الرجل البويري يحسن التكلم باللغة الانكليزية جيداً غير انه لا يريد ان يتلفظ بها على الاطلاق واتذكر اني سألت يوماً امرأة بويرية اذا كانت تحسن التكلم بالانكليزية فقالت بجفاء انني امرأة بويرية الجدود ولا اريد اتكلم بهذه اللغة المكروهة فتأمل وبالاجمال ان هذا

الشعب اكرم شعوب العالم كما هو عظمهم تمسكاً بالدين والآداب ويكرهون الكذب والكبرياء ويكرمون الغريب اكراما يعد نادراً ويرفضون كل شيء ليس مكتوباً في الكتاب المقدس ولا يوجد عندهم كتب غير التوراة

وهنا اذكر ملاحظة لاتخلو من فكاهة وهي ان جمعية انتشار التوراة وضعت في كل محطات السكك الحديدية نسختين من الكتاب المقدس في غرف الانتظار وذلك لكي يطالعها المسافرون ساعة انتظارهم للقطار فترى النسخة الانكليزية ممزقة ومكتوباً عليها اشعار مجونية ونكت هزلية ومفقود نصفها اما التوراة الهولاندية فتراها محفوظة من كل عيب ونظيفة مع ان الذين يطالعوها اضعاف اضعاف الذين يطالعونها التوراة الانكليزية وقد لاحظت ذلك في كل المحطات التي زرتها فاعجب لشعب هذه وطنيته كيف لا يعد في مقدمة الشعوب المتمدنة واذكر اني قلت يوماً لشاب بويري اذا كان يحب ان تلعب بالورق على سبيل التسلية فقال ان هذا اللعب غير مذكور في الكتاب المقدس ولذلك لا احب ان اعرفه وبالاجمال انهم لا يعرفون الا الله والبندقية والمعول فتراهم يحسنون الرماية لدرجة تفوق الوصف حتى الاولاد الصغار واذكر اني رأيت رجلاً اعطى ابنه رصاصتين فقط وطلب منه ان يصطاد غزالين بالرصاصتين او غزالاً واحداً ويرجع معه الرصاصة الاخرى وكان عمر الولد اثنتي عشرة سنة فقلت للرجل انه يصعب عليّ ان اصدق ان ابنك الصغير هذا يقدر ان يقوم بوصيتك هذه فقال لا بأس وسترى بعينك وذهب الشاب الصغير وبعد نحو ساعتين عاد ومعه غزالان مربوطان برجليهما وقد وضعهما على كتفه والبندقية على الكتف الآخر واغرب من هذا انه لايجوز له ان يحكم رصاصته الا في عنق الغزال

لكي يبقى الجلد سليماً من الثقوب فلا عجب اذا كانوا في الحرب لايخطئون الضباط وكل ذي مقام رفيع في الجيش الانكليزي وكان البعض من عساكر الترنسفال يصنعون عوضاً عن رصاص البنادق رصاصة من ذهب خالص وكان كل بويري يعرفونه انه لايخطي في الرماية يعطونه عدة رصاصات ذهبية فكان حينما تحتدم المعركة ويصادف ضابطا انكليزيا يضع عوضاً عن الرصاصة الاعتيادية رصاصة ذهبية ويضربه بها في فيه لانهم كانوا يقولون ان الانكليز يحاربوننا لاجل الذهب فمن الواجب علينا ان نقوم بواجبهم ونطعمهم اياه

ولايزالون لحد الان يترنمون بالنشيد الوطني في كل اجتماع كأن فقدانهم الاستقلال لم يزدهم الا تمسكا بالوطنية وبالاجمال ان هؤلاء القوم كانهم رجل واحد يتألمون لكل حيف واقع على واحد منهم ويشعرون بمصائب بعضهم ويهتزون غيرة لوطنهم وقد خيل لي انهم هم الذين وضعوا مبدا الاشتراكية في العالم فلا يوجد بينهم فرق ولا يفصلهم مال او عقار فيأتي الواحد منهم من الترنسفال الى الكاب ويدخل الى كل بيت اراده وينزل ضيفاً كريماً ويستعمل حريته في بيت القوم كأنه بيته بدون فرق ولو كنت احب ان اعدد اوصافهم لطال الشرح جداً فاكتفي بهذا عسانا نحن اهل الشرق ان نقتدي بهذا الشعب ونطرح عنا كل خمول نتشبه بهؤلاء القوم فانهم قدوه